

في مجلس المرحوم علي بن حسين المناعي

كان واحداً من أوائل المحامين المواطنين في محاكم رأس الخيمة

«.. على شرف أخيه صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة أقام صاحب السمو الشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم عجمان مأدبة عشاء فاخرة، وحينما اصطف أصحاب السمو الحكام والمدعوون والحضور على المائدة، التفت الشيخ صقر إلى علي بن حسين المناعي الذي كان يرافق سموه في تلك الزيارة الودية وقال «يخبروني إنك كثير الولوج بأكل اللحوم معها كانت كميتها..».

وحين أكدت لسموه صحة الرواية بالايجاب قولاً أصر على التأكد فعلاً وعليه فقد حظيت بوضع (ذبيحة) كاملة أمامي على المائدة فسأل لها لعابي وقبل أن ينهض أحدهم مكتفياً من على المائدة كنت قد أكملت أكل (التيس) بمختلف أطرافه ويديه و «وركه» ورأسه. ولم اقتنع بل مددت يدي إلى صحن آخر لتناول المزيد من اللحم، إلا أنهم ما أن انتبهوا للأمر مستغربين حتى ارتفعت الأصوات المازحة بكلمة (عفواً!!).

القصة قبل أكثر من ربع قرن وكذلك كانت نفوسنا متفتحة على الحياة بكامل الصحة والعافية بالأمس.

وها أنا ذلك الانسان المتين البنية والقوي الجسد والدائم الحيوية والحركة والنشاط بالأمس.. هذا أنا اليوم فوق الثمانين سنة من العمر أنزوي على هامش ذكريات الحياة بأخذها وعطاءها بين جدران هذا المسكن الشعبي بمنطقة (البريرات) في رأس الخيمة مشلول الحركة عاجزاً عن السمع وقليل الرؤية ضعيف الذاكرة ثقيل اللسان.. وتلك رأسماننا وسلاح معيشتنا حتى الأمس القريب.

وبالأمس لم يكن علي بن حسين المناعي فرداً عادياً بل عرفته إمارة رأس الخيمة رجلاً قيادياً وذلك لما



المرحوم علي بن حسين المناعي

وهبه الله من دهاء ومنطق وقدرة على مقارعة الحجة بالحجة، وقد سخر تلك الهبة للإصلاح الاجتماعي والدفاع عن حقوق كثير من أصحابها الذين عهدوا في الرجل الثقة والكفاءة والاخلاص وأوكلوه عامياً لهم أمام القضاء وفي المحاكم وأمام كل سلطة.

● ما هي التفاصيل كما يتذكرها ويروها (أبو أحمد) بنفسه إذا أسعفته لحظات الصحة في هذه السنين التي طغت فيها معاناة الآلام وأناتها على صفاء الذاكرة وسلامة القول والمنطق التي كان بطلا لها حتى زمن قريب؟.

● إنني واحد من أولئك البعض من رجال المناطق وأفراد القبائل المختلفة الذين اتفقت الجماعة على جداتهم المنطقية والعقلانية للنظر في الخلافات والمشكلات الاجتاعية وبالتالي تم اختيارهم ليكونوا مصلحين منصفين عادلين للبت في مثل تلك الطوازيء. وكذلك فإنني منذ البعيد كسبت ثقة واحترام وتقدير جماعتي مواطني منطقة (المعيريض) مثل ما كان الشأن أيضاً مع الشيخ عبدالله بن سلمان الذي تميز بسعة علمه في شؤون الفقه ومقتضيات الشريعة فأصبح قاضياً في (المعيريض).

ولم تكن رأس الخيمة قد عرفت المحاكم بعد في تلك الفترة بل عرفت بعض القضاة كالشيخ عبد العزيز الرجباني والشيخ بن فلاح وغيرهم الذين كانت منازلهم تقوم مقام المحاكم اليوم. أما الآخر الذي أذكره فقد كان سرور الوالي الذي كان يبرز في السوق وبيت في القضايا التي ترد إليه.

هناك أيضاً الشيخ محمد بن سعيد بن غباش الذي لا أعتقد إن أحداً من أبناء الامارات قد بلغ علمه في تلك الأيام فهو خريج جامعة الأزهر عام 1922، كما نعرف.

ولم يكن الشيخ بن غباش يبخل بعلمه على مجتمعه بل كان دائم التنظيم لجلسات الحديث للدعوة والارشاد وشخصياً كنت حريصاً على الاستفادة منه. ومن ذكرياتي عنه إنه تحدث في أكثر من مناسبة عن (الغليون) أي التبغ على أنه حرام وقد كانت زراعة الغليون وتجارته رائجة في تلك الأيام عند المزارعين في رأس الخيمة.

ومرت المواسم فإذا بالحاجة تضطر الشيخ محمد بن غباش لزراعة هذا النبات الذي كان قد أفتى بتحريمه.. لذا فإنه سرعان ما تعرض لسيل من الانتقادات والتساؤلات على لسان القضاة وطلبة العلم وغيرهم.. إذ كيف ينهى الناس عنه ويزرعه بنفسه؟. وفي محاولة منه للخروج من المأزق الاجتاعي والتناقض الذي اضطرته الحاجة للوقوع فيه أذكر تبريره بالقول.. «إنني أعامل الغليون معاملتنا للحمار (فالحمار حرام أكله حلال كده) وكذلك أمر الغليون».

وبالنسبة فقد عرفت (المعيريض) الكثير من المجالس التي كانت تجمع الأهالي كل مساء على سؤالي الدنيا في الحاضر والماضي كمجالس آك بومهر ومجالس السودان والممانعة وغيرهم من كبار تجار اللؤلؤ فيها.

نعود للقضاء لنشير إلى أن القضايا والمشكلات الكبرى كانت تعرض على المحاكم ليبت فيها بنفسه. أما على العموم ففي تلك السنوات المعنية بالحديث (أوائل هذا القرن) لم تكن القضايا والمشكلات التي تصل إلى المصلحين من أمثالي تتعدى الخلافات الزوجية والمشكلات الحقوقية كالميراث ومثيلاها. ونتيجة لتلك الثقة الاجتماعية والخبرة بظروف وشؤون الكثير من القضايا والتوفيق في علاجها فإنه ما أن انشئت المحاكم الرسمية في بداية الستينات أو قبل 26 سنة تقريباً. حتى تقدمنا وكان معي حسن كروع وسلطان الصحوة من مناطق مختلفة في الامارة طالبين من الشيخ صقر اعتمادنا كمحاميين رسميين لدى المحكمة وفعلاً تم لنا ذلك وأصبحنا المحامين المواطنين الأوائل في رأس الخيمة وكان إذا ما استدعت ظروف طارئة ايقاد وفد رسمي من رأس الخيمة إلى محاكم الامارات الأخرى فإن المهمة كانت توكل لنا بقرار من المحاكم.

طالبت بخلع أسنانه الذهبية وامتنعت عن مواجهة امرأة (محامية)

● هل من فوارق تستحق الذكر لاحظتموها بين ممارستكم لمهام المصالحة الاجتماعية ومهام المحاماة الرسمية - وهل تغيرت نوعية القضايا؟.

● نوعية القضايا لم تتغير كثيراً في البدايات إذ كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية متشابهة بين المواطنين ولم تكن العمالة الأجنبية قد وفدت إلى البلاد بهذه النسبة بعد.. لذا فإن أغلب المشكلات لم تتعد الأحوال الشخصية والقضايا الحقوقية ونادراً القضايا الجنائية.

من ذكرياتي عن نوعية القضايا قضية ذلك الذي تزوج على زوجته الأولى واحدة أخرى وبالتالي انشغل بزوجته الجديدة وأهمل الأولى تماماً فرفعت ضده دعوى تطالب بحقوقها وأوكلتني للدفاع في المحكمة.

وعندما جمعنا قاعة المحكمة أمام القاضي اعترف الرجل بالتقصير والتجني على زوجته الأولى لكنه اشتكى الفقر والعجز عن الصرف على الاثنتين. وبرغم لا منطقية شكواه إلا أنني لم أتجادل معه كثيراً إذ سرعان ما انتبهت أن بعض أسنانه ذهبية فقلت له.. إخلع أسنانك الذهبية واعط زوجتك حقوقها إذ ليس من الانصاف أن تهمل زوجتك وتشكو الفقر وأنت تترزين (بضروس) ذهبية. وفعلاً لم يتردد القاضي كثيراً وأصدر حكمه فوراً بخلع أسنانه الذهبية كلها وتسليم ثمنها لزوجته.

ومن ظروف العمل في المحاكم أذكر أيضاً تلك القضية الحقوقية التي كانت بين موكلي والمتهم الذي أحضر له من إمارة دبي امرأة محامية متخصصة وحين فوجئت بها قبل لحظات من موعد جلسة المحكمة وعرفت بمهنتها اعترضت على المرافعة في القضية مع امرأة وأعلنت إن (المحاماة) ليست مهنة النساء وعلى هذه التي تريد مواجهتي أن تبحث لها عن مهنة أخرى «كبيع (البراقع) أو الدخون» وغيرها لتعيش أما هذه المهنة فلا تجوز لها.

وتأجلت الجلسة، إلا أن المتهم زارني في تلك الليلة واستطعنا التصالح في القضية دون انتظار جلسة المحكمة. وأخذت نصيبي في القضية حوالي ألف ريال. ويزيد عمر القضية على عشرين سنة. وهناك المئات من القضايا التي كسبناها وتوفقتنا في علاجها ولم أتقاض رسوماً مشروطة مقابل مهمتي بل (هبة ربح) الشخص وتقديره.

وكان «السجن» قديماً هو نفسه الحصن القديم حيث مديرية شرطة رأس الخيمة والسجن المركزي اليوم. وكان إذا ما حكم على أحد المواطنين بالسجن يقوم وفد من قبيلته بزيارة الحاكم إما مباشرة أو بواسطة أحد من أمثالنا وبمحكم الثقة والاحترام المتبادل بين الشعب والحاكم كان كثيراً ما يطلق سراح المسجون على ضمان رجال قبيلته المعروفين.

30 سفينة غوص في المعيرض

● وبالتأكيد لم تقتصر اهتماماتكم ومشاغلكم على المحاماة والمصالحات الاجتماعية فحسب.. فإذا غيرها؟.

● كانت الحياة في رأس الخيمة مثل غيرها معتمدة على الغوص وتجارة اللؤلؤ وكما أشرنا فإن (المعيرض) كان بها عدد من تجار اللؤلؤ كالعوييدات والممانعة وأهل يومهري وغيرهم كما كان كثير من تجار دبي يصلون إلى (المعيرض) ويمولون سفن الغوص مقابل الانتاج المتوقع من الرحلة. وكذلك كانت المعاملة تعم الأهالي الذين كان ينقسم نشاطهم ما بين (طواشين) ونواخذة لسفن الغوص و (غواصين وسيوب وبحرية) على تلك السفن. ولم يقل عدد سفن الغوص في المعيرض عن 30 سفينة.

وكان والدي رحمه الله (طواشاً) وكثيراً ما رافقته في جولاته بين سفن الغوص لشراء وبيع اللؤلؤ يومها كنت صغيراً لا مهمة لي في تلك الرحلات غير الاستطلاع والتدريب. ولم تكن رحلات الوالد بعيدة إذ كان يستأجر (شاحوفاً) وهو قارب صغير ونستأجر 4 - 5 بحرية يجذفون به وتلف بين الطواويش ونشتري منهم قبل وصولهم إلى البر ذلك في مواسم الغوص صيفاً أما في بقية شهور السنة فقد قضيت 4 - 5 سنوات من طفولتي أتعلم القرآن عند المطوعة (مريم بنت جبر) وكان طلبتها أولاد وبنات (المعيرض).

فما بعد كان الوالد يعلمني الكتابة حيث يدون الحروف والكلمات على قطع من الورق ثم أقوم بتقليدها حتى تمكنت مع مرور الزمن من اجادة الكتابة.

وهكذا كان شأن الآباء المعلمين مع أبنائهم.

وبالنسبة لوالدي فإنه كان أيضاً شاعراً ذائع الصيت في رأس الخيمة وهو القائل:

فيجيت من النوم يطري لي
وذكرت وطري من ستمين

أدور دروب المعـــــــــــــــــاني
الأول عن في دبي مقيمين
والشارقة منــــــــــــــه وتاليه
واليوم عن في معيرض يوزين
نصبح ونشاهد هالجبال
كل عين يهرش العين
في نســــــــــــل الـــــــــــــــــوالي
عن لايقــــــــــــــــولون المواشين
ساروا وخلصــــــــــــــــونا تلامي

وأذكر ان أحد الشعراء سرق أبياتاً من قصيد الوالد وادعى أنه منظمها والعجيب أنه أتى بها إلى الوالد بريد الجواب عليها دون علم بأنها له وما أن ألقى الشاعر ويسمى (سلطان) الأبيات حتى أوقفه الوالد بالقول..

سلطان يسك من طقطيطي
تمتحن وتطيــــــــــــــــح مهونة
تغدي عظامك شري الشيجي
والغــــــــــــــــوانج ما يداننـــــــــــــــــه
فاستوعب الشاعر القول واحمر خجلا.

ومن أشعار الوالد أذكر أيضاً..

ونيت يوم الليل عسعس
ونات مستارج ومغــــــــــــــــيون
في خلوة ونهادي الحس
عن حاسد راصد ومثــــــــــــــــور

نستورد الأسلحة من عدن إلى إيران

● وماذا عن مرحلة الاستقلال عن مرافقة الوالد والاعتماد على الذات فيما بعد؟

● حين بلغت الخامسة عشرة من العمر كنت مهزلاً للاعتماد على نفسي و «الكذ» فاشترت سفينة غوص وصممت لها عدداً من البحرية وخرجت في رحلات البحث عن اللؤلؤ على مدى 7 سنوات متواصلة تقريباً ذقنا خلالها الحلو والمر مثل كل أبناء جيلنا في الخليج. وخلال تلك الفترة كنت قد

بدأت أمارس مهمة البت في بعض المشكلات والخلافات والنقضايا الاجتماعية وأحاول الجمع بين وجهات نظر المتخاصمين والصلح بينهم وهكذا.

وحيث توقف التعامل في الغوص وعشنا ظروفاً قاسية في سواحل الحرب العالمية الثانية التي دبرنا فيها أمورنا ببيع وشراء السكر وبعض مواد التموين التي وفرتها الحكومة بالبطاقات اشتريت (بوماً) سفينة بحارية أسميناها (منصور) وعليها قضينا خمس سنوات تقريباً مسافرين بين رأس الحيمة والقطيف بالسعودية والبصرة في العراق وعدن والسواحل الإيرانية والسواحل الأفريقية. ومن وإلى موالي تلك البلدان كنا نصدر ونستورد بضائع مختلفة الأنواع.

فإذا ما شحنا (البوم) كميات كبيرة من (حطب) أشجار السمر وأيضاً كميات أخرى من سمك (الغوم) في رؤوس الجمال وفي سوق رأس الحيمة. سافرنا بها إلى البحرين ثم إلى القطيف وسعر تلك الحمولة نضعها من القطيف (التمر) واستوردنا منها من دخلتنا إلى البصرة أيضاً. وقد نبع جزءاً من حمولتنا في دبي أو رأس الحيمة ونسافر بالجزء الآخر إلى عدن ومن ميناء عدن كنا نشحن بعض أنواع البضائع التي تصل (توانزيت) من السواحل الأفريقية كما كنا نشحن (البز) أي الأقمشة التي كثيراً ما كنا نحمل بينها الأسلحة وخاصة البنادق وقد كنا نملك نصحياً باستيرادها إلى دبي من المعتمد البريطاني. وأغلب تلك الأسلحة كما تصدرها للبندوب السواحل الإيرانية ونعود بالأغنام وغيرها.

وبالمناسبة أذكر عن إحدى تلك الرحلات إلى عدن أننا بعد أن شحنا سفينتنا بالبضائع ومن صنعها الأسلحة صعد اثنان من سرطة الميناء على ظهر السفينة للتفتيش، وحيث لا حيلة للهروب من الأمر الواقع وعواقبه فإن الظروف اضطررتنا لاعتقال الشرطين وربطهما والسفر بها إلى ميناء آخر حيث تم إنزالهما والافراج عنها ومواصلة السفر إلى البلاد.

ومن مواقف وسوالمف الأسمار أيضاً بالمناسبة ما صادفني في منطقة اسمها (خرخون) على الساحل الإيراني والتي لم يكن يزيد عدد سكانها عن عشرين عائلة وبها (دكان) واحد. وذات يوم من أيام تواجدها في تلك المنطقة خرجت برفقة 3 من أصدقائي وما أن وصلنا قرب (الدكان) افترقنا ليدخل رفقائي إلى المحل وانتهيت أنا ناحية امرأة كانت تطحن (بالرحى) ودفعني فصول الشاب لها كسبتا وحين أعطيت المرأة عدداً من البيض لسوق اعتقدت إنها معجبة بي فإزداد فضولي لذا طلبت منها شربة ماء، ولما عادت وبيدها كأس ماء، وبالأخرى (الشربة) مسكت عنها (الشربة) ومددت يدي الأخرى على صدرها فلم يعجبها الأمر ودرعلت وأدخلت رأسها من الباب (ورطنت) بلهجتها التي لا أحيدها بينا سمعها أحد رفائي يسمى (مبارك) فصرخ على الجماعة.. (نادا تركتم المجنون لوحده؟) فوعيت بأنهم يريدوني بالنصرف كالجائنين وفعلنا أخذت قطعة من الخشب وقتضرت (جمل) كان ينوخ قرب المكان. فصرخوا بالقبض علي مدعين أنني مجنون وربطوني وحملوني إلى السفينة وكل ذلك في محاولة لانقاذي من الموقف الفضولي الذي وقعت فيه.

كذلك أسفارنا دائماً لا تخلو من مشاهدات ومواقف طريفة وأخرى متعبة.

ومن المواقف الطريفة أذكر يوم كنا في منطقة رؤوس الجبال وصادف أن مرض واحد من أبناء الأهالي فحاولونا إلى الميناء يبحثون بين السفن المصطفة عن طبيب أو معين وحين رأيت اليأس في العيون رشحت نفسي خبيراً في الطب وتعممت (بشادر) أي ملاية سميقة خضراء اللون وواقفتهم إلى الطفل المريض الذي كان يرقد في حضن والدته فوضعت يدي على رأسه وقرأت عليه أبياتاً لعنترة بن شداد..

إذا كشف الزمان لك الفناعا
ومد إليك صرف الدهر باعا
يقول لك الطبيب دواك عندي
إذا ما جس كفك والذراعا

الخ.. وصادف أن شفي الطفل بعد أيام فأكرموني بالصيد (الجامشع) كهدية.

ثم سألتني عن احتمالات تكاثر الصيد.. الأمر الذي لا خبرة أو علم لي به.. لكنني قلت إن شاء الله سيأتيكم يوم الجمعة وكنا على استعداد للسفر يوم الخميس وصادف أن «غيمت الدنيا» وعادة ما يكثر (الصيد) مع الغيوم وهكذا وعلى بياتكم تترقبون - وفوجئت بعد فترة بكيات من أسماك (الجامشع) وأيضاً (السماك الملح) تصلني هدية من الأهالي هناك إلى رأس الخيمة.

استبدلنا منصور (بالغلة)

وتعرضنا للخسائر فحططنا السفينة

● أشرت إلى أن أسفاركم التجارية شملت السواحل الإفريقية أيضاً فهل من ذكريات عن مواقف ومشاهدات معينة؟.

● في رأس الخيمة شحنا سفينتنا (منصور) بكيات كثيرة من «شعرون العوال» تخص عبد الرحمن البكر وسافرنا بها إلى أفريقيا والهند (سيمونفة). وبعد أن وصلنا بالسلامة وبعنا البضاعة أخذنا الطمع حين قررنا شحن أكبر كمية ممكنة من «الجنديل» ولكن لأن «النوم» «منصور» صغير على حجم الطمع استبدلنا به «بغلة» أي سفينة أكبر وشحناها بأكثر من طاقتها ولأن خشب «الجنديل» يتمدد إذا ما شرب الماء فإننا ما أن قطعنا شوطاً من رحلة العودة إلى البلاد حتى اشتد ضغط «الجنديل» المتمدد بمياه البحر على السفينة فأحدثت فيها شروخاً. فاتجهنا (نابغلة) إلى أقرب ميناء مجاورة بطراد يخص حرس الحدود وهناك بعنا جزءاً من الحمولة ليتم بقيمتها إصلاح السفينة. وإلى جانب الخسائر المادية كانت خسارتنا زمنية أيضاً حيث وصلنا إلى البلاد متأخرين عن الموسم.

وكان لا بد من الصيانة والإصلاح التام للسفينة وبعد أن تمت قردنا السمور إلى القطيف فوراً لتعويض الخسارة. فشحنا «البغلة» بالحطب وسافرنا بها إلى البحرين وبعنا الحمولة ثم من القطيف حملنا التمور لأحد التجار عاكدين بها إلى البلاد وقبل وصولنا صادفتنا عواصف وأمواج أحالت السفينة إلى ريشة في مهب الريح فقد كان الوقت شتاء فالتقينا بأربعة آلاف (قنلة) كيس من التمر في البحر وبعد محاولات شديدة لنزف الماء وترقيع أطراف السفينة بقطع من الصفيح لمنع تسرب الماء إلينا نجونا بأنفسنا ووصلنا إلى الشارقة بالسلامة وخسرنا المال. ومن يومها حلفت ألا نساغر في «البغلة» فسحناها على الشاطئ، وحطمانها وبعنا ألواحها الخشبية. والتصه قبل أكثر من 35 سنة.

كذلك قضينا سنوات طويلة من العمر.. أما السنوات التالية منه فقد اهتمت بزراعة النخيل ورعايتها والكسب من ثمارها ومعطياتها. إلى جانب ممارسة «الحمامة». أما أسعاري الحديثة فقد شملت الهند وتشيكوسلوفاكيا ومصر وغيرها بحثاً عن العلاج ولكن دون جدوى.